

مساعدات طارئة للمزارعين المتضررين جراء الجدار الفاصل

سعيد عيساوي وإيميلي أريديل

كان لبناء الجدار الفاصل في الأراضي المحتلة من الضفة الغربية على المزارعين أثر كبير حيث أنه فصل العديد منهم عن أراضيهم. وتهدف بادرة مشروع خدمات الإغاثة الكاثوليكية (CRS) في فلسطين إلى تخفيف الآثار الناجمة عن بناء الجدار.

أو لاستبدال الآليات الزراعية وتركيب أنابيب الري. وتم أيضا بناء ٨ برك أسمنتية لتخزين المياه في المناطق التي لا يمكن فيها الوصول إلى مصادر مياه الري الرئيسية خلال ساعات معينة في النهار، إضافة إلى إصلاح آبار المياه. وقام مهندسو المنظمات الثلاث وموظفوها بزيارة مواقع المشاريع بالرغم من صعوبة المرور عبر الجدار الفاصل. وكانت مشاركة المزارعين إما مادية أو معنوية وأكلاهما، وتمثلت أيضا بمتابعتهم للمشاريع بالتعاون مع مهندسي مجموعة فلسطين للهيدرولوجيا (PHG).

كان العاملون في المشروع قد واجهوا تحديات عدة خصوصا فيما يتعلق بنقل المواد والأدوات من الجانب الفلسطيني للجدار وعبره إلى المزارع، حيث أن الجيش الإسرائيلي الذي يسيطر على المعابر والبوابات كان عادة ما يرفض السماح للمقاولين بنقل المواد أو المعدات كبيرة الحجم. وكان على الفرق إيجاد طرق بديلة للتمكن من الوصول إلى الحقول مما كان يتطلب وقتا طويلا بسبب طول المسافات البديلة. هذا وما يزال من المستحيل على الكثير من المزارعين نقل المعدات

بادرت خدمة الإغاثة الكاثوليكية (CRS) بالتعاون مع لجنة كنيسة المينونات المركزية (MCC) ومجموعة فلسطين للهيدرولوجيا (PHG) بمشروع 'المساعدة الطارئة للمزارعين المتضررين من الجدار الفاصل'. حيث هيا الاجتماع المبدئي الذي عقده هذه المنظمات مع المزارعين بيئة لمناقشة ميزانية المشروع ودور ومجموعة فلسطين للهيدرولوجيا (PHG) الفني إضافة إلى دور المزارعين قبل بداية المشروع وخلالها. وساعد الاجتماع في التعرف على الأولويات وتشكيل لجان من المزارعين وافقت المجالس البلدية عليها، إضافة إلى توقيع اتفاقيات تحدد مسؤولية كل مستفيد في هذا المشروع. هذا وعمل المقاول -الذي تم اختياره جزئيا بسبب حيازته على إذن من السلطات الإسرائيلية بالعمل قرب الجدار الفاصل- جنبا إلى جنب مع المزارعين لإصلاح

يتبع الجدار الفاصل طرقا متعرجة تتعدى في بعض المناطق ما يقارب على الـ ١٤ كيلومترا من الخط الأخضر المعترف به دوليا والذي يفصل إسرائيل عن الأراضي الفلسطينية المحتلة. هذا إضافة إلى أن الجدار يقترب كثيرا من عدة بلدات وقرى مما يفصلها في كثير من الحالات عن الأراضي الزراعية المجاورة أو القريبة منها والتي أصبحت على الجانب الآخر من الجدار. ولا يستطيع الكثير من المزارعين الوصول لأراضيهم أو لمصادر المياه، مما يجعلهم غير قادرين على الزراعة الأمر الذي يحرمهم من مصدر دخلهم الوحيد في بيئة اقتصادية ضعيفة أصلا. وقد تأثرت ٦٠ ألف أرض زراعية في المناطق الشمالية مثل طول كرم وقليلية والتي يمثل انتاجها الزراعي ما بين ٢٠-٢٥٪ من إجمالي الإنتاج الزراعي في فلسطين. هذا وقد أتلّف الجيش ومركبات البناء العديد من شبكات الري هناك.

الجدار، محيطا بقليلية في الضفة الغربية





نتائج خلفها بناء الجدار ولا يمكن معالجتها من خلال هذا البرنامج فقط. هناك العديد من المشاكل بالغة التعقيد وهي بحاجة إلى اهتمام المجتمع الدولي من أجل تحقيق العدالة الإقتصادية والتكافؤ الإجتماعي في الضفة الغربية. وبتقليل العوائد السلبية على المزارعين، لم نحل إلا جزءاً من المشكلة وهو الحائط. وكما قال البابا الراحل يوحنا بولس الثاني: إن ما تحتاجه الأرض المقدسة ليس جدراناً، بل جسوراً.

عمل سعيد عيساوي في خدمات الإغاثة الكاثوليكية (CRS) لمدة ٨ سنوات في قسم تخطيط الطوارئ. بريد إلكتروني: sessawi@crsjwbg.org

تخرجت إيميلي أرديل مؤخراً من جامعة جون هوبكنز للدراسات الدولية المتقدمة، وهي عضو في قسم التنمية الدولية التابع لخدمة الإغاثة الكاثوليكية (CRS). بريد إلكتروني: cardell@eme.crs.org

١. www.crs.org
٢. www.mcc.org
٣. www.phg.org

المحسنة، فقد أصبح هناك حافز أكبر لكي يبقى المزارعون ويعملوا في أرضهم. إن كبح جماح هجرة الفلسطينيين من الأراضي الخصبة يساعد على خلق توازن في تركيز السكان في هذه المناطق وهو أمر ضروري للحصول على قرار عادل مستقبلاً.

كان تحسين العلاقات بين المزارعين من إحدى النتائج الإيجابية للمشروع حيث أنه كان هناك بعض التوتر في العلاقات بين المزارعين بسبب التعقيد والتشابك في شبكات الري التي كانت تمر عبر الأراضي الزراعية المجاورة. أما شبكة الري الحالية فتسمح للمزارع بالحصول على مياه الري من عدة شعب أنبوبية دون الحاجة إلى العبور إلى أراضٍ مجاورة. ويساعد تحسين التواصل وإزالة التوتر بين المزارعين على بناء تكامل بينهم مما يدعم أي تأييد مستقبلي للموقف.

لقد خلق الجدار الفاصل كما هائلاً من التوتر الإقتصادي والاجتماعي والسياسي أيضاً في المجتمعات التي تسكن في الضفة الغربية. وبينما سرت خدمات الإغاثة الكاثوليكية (CRS) بالعائد الإيجابي للمبادرة التي ساعدت المزارعين مادياً وحفزتهم على عدم ترك أراضيهم، إلا أن هناك

الزراعية من منازلهم إلى المزارع إضافة إلى أن السلطات الإسرائيلية تمنعهم من نقل المحاصيل لكي تباع في الأسواق المحلية والقانون الإسرائيلي يحظر عليهم بيع المحاصيل الفلسطينية في الأراضي الإسرائيلية. أما عن السماح للسلع المرور عبر البوابات، فهذا يعتمد على تقدير حراس هذه البوابات، وهو أمر لا يمكن التنبؤ به. لم تكن محاولة تسهيل عمليات العبور ونقل البضائع ضمن الأولويات الرئيسة للمشروع، إلا أنها ضرورية للمساعدة على استدامة واستمرارية الزراعة إضافة إلى الحاجة الملحة لمن يدافع عن حقوق المزارعين لنقل المعدات والآليات والمحاصيل عبر الجدار الفاصل.

نتائج واستنتاجات المشروع

قللت المساعدة الفنية من تكاليف التشغيل ونجحت في زيادة نسبة التدفق المائي، الأمر الذي ساعد على ري مساحات أكبر من الأراضي الزراعية بكلفة أقل على المزارعين. وكان ٥٩٠١ مزارع قد استفادوا من هذه التحسينات في طول كرم وقليلية. هذا وقد تم تشجيع أولئك الذين تقع مزارعهم خلف الجدار على مواصلة زراعة أراضيهم وعدم تركها. ومع تركيب شبكات الري